الانتفاع اقتصاديا بمنتجاتنا

أهم أساس فى اكتفائنا الذاتى*

من الذكريات التى لا أنساها إنى سمعت فى عام ١٩٣٠ محاضرة قيمة لعالم زنجى هو المرحوم الدكتور جورج واشنجطون كارفر ، القاها فى قاعة بلدية دالاص عاصمة تكساس بالولايات المتحدة . وولاية تكساس هذه موطن غالبية الزنوج ، وفيها يزرع القطن والفول السودانى فى مساحات واسعة . وكان العالم حينذاك يشكو تدهور أسعار الحاصلات ، ويدعو إلى إعدام المخزون منها ، أو تحديد ما سيزرع ، لتنتعش الزراعة .

وكانت محاضرة العالم الزنجى عن الفول السودانى ، وقد بدأها باستعراض المئات من المستحضرات التى أعدها فى معمله من الفول السودانى ، من دهون وعطور ومستحضرات طبية وقماش مشمع وغيره . ثم قال إن هذه المستحضرات وغيرها إنما يدخلها الكربون والأزوت والهيدروجين وغيرها من العناصر التى يحتويها الفول السودانى بنسب مختلفة ، وأننا إذا عجزنا عن تحويل الفول السودانى إلى شىء من الأشياء التى نحتاج إليها فى معيشتنا فليس هذا إلا قصورا منا فى التوفيق بين تلك العناصر بالنسب المطلوبة ، بل يكون ملنا كمثل الذى يقف أمام جهاز الراديو ويعجز عن الحصول على المحطة التى يريد أن يستمع إليها ، لأنه لا يحسن إدارة المفتاح الذى يوصله إلى ذلك . وبعد أن عارض هذا العالم الرأى الذى كان يقول بتحديد المساحات الزراعية لإنعاش الزراعة قال إن علاج تدهور الأسعار يكون بالعمل على زيادة الاستهلاك ، لا الحد من الإنتاج ، وأن أهالى تكساس يجب أن يعملوا على تدبير أقصى ما يلزم فى معيشتهم من مستحضرات منتجاتهم الزراعية .

ومن العجيب أن المستحضرات التى استحدثت من الفول السودانى قد زادت حتى الآن على الثلاثمائة صنف .

وقد عنيت الولايات المتحدة بموضوع الاستعمالات الجديدة للقطن ، فأنشأت فى أواخر عام ١٩٣٩ أربعة معامل إقليمية مهمتها القيام بالبحوث التى تؤدى الى زيادة

---

* لصاحب العزة بطرس باسيلى لك

تصريف الحاصلات ، واعداد المستحضرات المختلفة منها ومن بقاياها . ويختص كل معمل من هذه المعامل الأربعة بدراسة المسائل التى ترتبط بالحاصلات الرئيسية فى المنطقة ، وقد حصلت هذه المعامل فى وقت قصير على نتائج باهرة ، فهى التى قامت بتحضير مادة البنيسلين الذى ذاع صيته فى الطب ، وهى التى توصل إلى تحضير المطاط الصناعى من الزيوت النباتية ، واستخرجت من قش القمح وأحطاب الذرة عدة مواد تحل محل المعادن فى كثير من المصنوعات ، وأعدت من زغب بذرة القطن البارود الذى لا يخرج دخانا فى أثناء احتراقه ، ومن قشور الفول السودانى مادة الفلين . وهناك عدة مخترعات لهذه المعامل لازالت سرا مكتوما نظرا لارتباطها بالصناعات الحربية جاوزت اليوم المائة والخمسين ، وقد دلت إحصاءات هذا العام على أن العالم أخذ يشعر بوفرة بعض المنتجات الزراعية التى تتراكم فى بعض البلدان . وبالرغم من أن الهيئات الدولية تدعو إلى الاقتصاد العالمى المتسع ، فإن اضطراب الأحوال العالمية وقيود التبادل التجارى تدفع الأمم إلى اتجاه يتعارض مع هذا التوسع ويلزمها سياسة الاكتفاء الذاتى . وتمشيا مع هذه السياسة أرى العمل على الانتفاع بما يمكن استخراجه من حاصلاتنا وفواكهنا وخضرنا ، واتخاذ العدة لإنشاء وتشجيع الصناعات التى ترتبط بذلك ، فإنه مما يؤسف له أن المياه الفوارة المستوردة تغزو بلادنا فتقتل صناعة عصر الفواكه لدينا ، وأن حوانيت البدالين تمتلىء بمحفوظات الخضر والفواكه التى نستطيع صنعها محليا ، أو الاستعاضة عنها — إلى حد ما — بمصنوعات من منتجاتنا . وقد تبين أن بلادنا لا تستطيع أن تعيش على الزراعة وحدها ، وأن رفع مستوى المعيشة بين الطبقات العاملة يتطلب التوسع الصناعى والاتجاه نحو الصناعات التى تتوافر لدينا مواردها الأولية لاسيما الصناعات التى تعتمد على المنتجات الزراعية .

واذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر الصناعات التى يمكننا استحداثها من منتجاتنا :

١ — استخراج المواد الراتينجية والبلاستيكية من الزيوت ، وقد اكتشفت لها استعمالات جديدة كثيرة .

٢ — استخراج النشاء والجلوكوز والديكسترين « الرسراس » والزبين ، من حبوب القمح والذرة والبطاطا وغيرها من الحاصلات النشوية .

٣ — استخراج مادة البيروبلاست من قش القمح وأحطاب الذرة والمواد الليفية وهى تدخل فى صنع عدة مواد لها أهمية تجارية وتحل محل المعادن فى بعض المصنوعات الحديثة .

٤ — استخراج مادة السيلوتكس من مصاصة القصب ، وهى تستخدم فى البناء

٥ — استخراج عدة عجائن وزيوت ومواد فلينية من الفول السودانى .

٦ — تحضير الدهون والشموع ، وكانت مصر تصدر كميات وافرة من شمع عسل النحل إلى أمريكا ليدخل فى عدة صناعات ، كما أن الحاصلات التى يمكن تحضير الدهون منها توجد لدينا بكثرة .

٧ — تحضير المقطرات والزيوت العطرية والمواد الكيميائية من ثمار الموالح والأعشاب والنباتات المصرية .

ولا شك أن بعض هذه الصناعات قائم فى بلادنا ، ولكن الأمر يتطلب وضع سياسة ثابتة لدراسة وسائل الانتفاع الكامل بمحصولاتنا وبقاياها ، وتشجيع الصناعات التى تنشأ لهذا الغرض .